

## تفسير البحر المحيط

@ 136 على تمردهم في الكفر والمبالغة فيه ، حيث نسبوا الموجَد الأشياء من العدم  
الصرف إلى الوجود الغني بذاته عما أوجده الوصف الدال على الافتقار لبعض ما أوجده ،  
ونسبوا العكس إلى أنفسهم ، وجاءت الجملة مؤكدة باللام مؤذنة بعلمه بمقالتهم ومؤكدة له ،  
وحيث نسبوا إلى الله ما نسبوا ، أكدوا الجملة بأن على سبيل المبالغة . وحيث نسبوا إلى  
أنفسهم ما نسبوا لم يؤكدوا ، بل أخرجوا الجملة مخرج ما لا يحتاج إلى تأكيد ، كأنَّ -  
الغنى وصف لهم لا يمكن فيه نزاع ، فيحتاج إلى أنْ يؤكد . .  
{ سَنَدَكْتُبُ مَا قَالُوا ° وَقَتَّ لَاهُمُ الْإِنْبِيَاءَ بِرَغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا °  
عَذَابَ الْحَرِيقِ } الظاهر إجراء الكتابة على أنها حقيقة ، قال ذلك كثير من العلماء  
 . وأنها تكتب الأعمال في صحف ، وأن تلك الصحف هي التي توزن ، ويحدث الله سبحانه وتعالى  
فيها الخفة والثقل بحسب ما كتب فيها من الخير والشر . وقيل : سنكتب ما قالوا في القرآن  
حتى يعلم القوم شدة تعنتهم وحسدهم في الطعن عليه صلى الله عليه وسلم ) . وذهب قوم : إلى  
أن الكتابة مجاز ومعناها الإحصاء للشيء وضبطه وعدم إهماله وكيونته في علم الله شيئاً  
محفوظاً لا ينسى ، كما يثبت المكتوب . وذهب إلى أن معنى سنكتب : سنوجب عليهم في الآخرة  
جزاء ما قالوه في الدنيا كقوله : { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ } وجاء سنكتب بلفظ  
المستقبل دون لفظ الماضي ، لأنه تضمن المجازاة على ما قالوه . وفيه من التهديد والوعيد  
ما لا يخفى . ونسب إليهم قتلهم الأنبياء ، وإن كان من فعل آبائهم ، لما كانوا راضين به .  
وقد سموا أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم ) وهموا بقتله ، ودل هذا القول وهذا الفعل  
على جميع الأقوال والأفعال القبيحة التي صدرت منهم . إذ القول في هذه الآية أشنع الأقوال  
في الله تعالى ، والقتل أشنع الأفعال التي فعلوها مع أنبياء الله تعالى ، وتشريك القتل مع  
هذا القول يدل على أنهما يسببان في استحقاق العقاب . ولما كان الصادر منهم قولاً وفعلاً  
ناسب أن يكون الجزاء قولاً وفعلاً ، فتضمن القول والفعل قوله تعالى : ونقول ذوقوا عذاب  
الحريق . وفي الجمع بين القول والفعل أعظم انتقام ، ويقال للمنتقم منه : أحس وذق . .  
وقال أبو سفيان لحمزة رضي الله عنه لما طعنه وحشي : ذق عقق ، واستعير لمباشرة العذاب  
الذوق ، لأن الذوق من أبلغ أنواع المباشرة ، وحاستها متميزة جداً . والحريق : المحرق  
فعل بمعنى مفعول ، كأليم بمعنى مؤلم . وقيل : الحريق طبقة من طباق جهنم . وقيل :  
الحريق الملتهب من النار ، والنار تشمل الملتهبة وغير الملتهبة ، والملتهبة أشدها .  
والظاهر أنَّ هذا القول يكون عند دخولهم جهنم . وقيل : قد يكون عند الحساب ، أو عند

الموت . وأنَّ وما بعدها محكى بقالوا . وأجاز أبو البقاء أن يكون محكياً بالمصدر ، فيكون من باب الأعمال . قال : وإعمالُ الأول أصلٌ ضعيف ، ويزداد ضعفاً لأن الثاني فعل والأول مصدر ، وإعمال الفعل أقوى . والظاهر أنَّ ما فيما قالوا موصولة بمعنى الذي ، وأجيز أن تكون مصدرية . .

وقرأ الجمهور : سنكتب وقتلهم بالنصب . ونقول : بنون المتكلم المعظم . أو تكون للملائكة . وقرأ الحسن والأعرج سيكتب بالياء على الغيبة . وقرأ حمزة : سيكتب بالياء مبنياً للمفعول ، وقتلهم بالرفع عطفاً على ما ، إذ هي مرفوعة بسيكتب ، ويقول بالياء على الغيبة . وقرأ طلحة بن مصرف : سنكتب ما يقولون . وحكى الداني عنه : ستكتب ما قالوا بتاء مضمومة على معنى مقالتهم . وقرأ ابن مسعود : ويقال ذوقوا . ونقلوا عن أبي معاذ النحوي أنَّ في حرف ابن مسعود سنكتبُ ما يقولون ونقول لهم ذوقوا . .

{ ذَالِكَ بِمَا قَدَّ مَتَّ أَيْدِيكُمْ } الإشارة إلى ما تقدم من عقابهم ، ونسب ما قدموه من المعاصي القولية والفعلية والاعتقادية إلى الأيدي على سبيل التغليب ، لأن الأيدي تزاوَل أكثر الأعمال ، فكان كل عمل واقع بها . وهذه الجملة داخله في المقول ، وبخوا بذلك ، وذكر لهم السبب الذي أوجب لهم العقاب . ويحتمل أن يكون خطاباً لمعاصري الرسول صلى الله عليه وسلم ) يوم نزل الآية ، فلا يندرج تحت معمول قوله ونقول . .

{ وَأَنَّ اللَّاهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ } هذا معطوف على قوله : بما قدمت أيديكم ، أي ذلك العقاب حاصل بسبب معاصيكم ، وعدل الله تعالى